www.daawa-info.net

غذاء العبودية

سعيد حوى

غذاء العبودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يبحث الكافرون عن مزيد من الحرية، وإذا تعبد أحدهم لله فعلى غير طريق العبودية الحق لله، ويبحث المسلم عن مزيد من العبودية لله، ويحاول أن يتحرر من كل ما يستعبده سوى الله، سواء في ذلك العبودية للجاه أو للمظهر أو للمجتمع أو لغرض من أغراض الدنيا، وذلك مقتضى قوله "لا إله إلا الله". فالعبودية هي أرقى مقام يتطلع إليه المسلم، وقد وصف الله عز وجل رسوله بالعبودية أثناء الكلام عن مقاماته ومعجزاته، قال تعالى: {الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب}. وقال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}. وإذ طالب الله عز وجل بأن يعرف له التوحيد قال تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله}. فتلك مطالبة بالضرورة بأن يؤدي واجب العبودية، والعبودية تقتضي معرفة بالعقائد، وقياماً بالعبادات، واستقامة على منهج الحياة، واستقامة على منهج الشريعة، وكلّ من هذه الثلاثة يعمق الأخريين ويساعد عليه، غير أن هناك معالم أربعة كبرى تغذي مقام العبودية هي: الذكر ودراسة المنهج والنصرة والإنفاق.

ومن هنا كتبنا هذه الرسالة لإبراز دور هذه القضايا الأربع في تغذية مقام العبودية ولتوضيح ما هيتها. وإذ كانت العبودية أثراً عن التوحيد فلابد من كلمة عن التوحيد. وهكذا أصبحت الرسالة خمسة فصول وخاتمة. إن مغذيات التوحيد كثيرة ولكن إرجاعها إلى أصول ممكن وقد تتبعنا الأصول التي يدخل فيها غيرها فوجدناها أربعة، والأربعة يمكن أن تتداخل، ولكن التفصيل فيها مفيد وهذه الأصول الأربعة ركزنا على بعضها مما تكثر الحاجة إليه، فنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخل فيها أشياء كثيرة أشرنا إلى بعضها. والذكر يدخل فيه التكليف وغيره وقد ركزنا على أجزاء منه. والعلم المطلوب تدخل فيه فروض العين وفروض الكفاية وتدخل فيه واجبات ومندوبات وقد ركزنا على بعض المطلوب، وإذاً فما نذكره هنا من مغذيات الإيمان والتوحيد لا يراد به الاستقصاء وإنما يراد به التذكير بما لا ينبغي أن يغيب عن قلب مسلم.

نقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول - كلمات التوحيد

قال تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها}. إن للتوحيد ثمراته الطيبة فالإيمان بضع وسبعون شعبة. فشعب الإيمان كلها أثر عن كلمة التوحيد، هذه الشجرة لابد أن تسقى لتؤتي ثمارها الطيبة اليانعة الكريمة، وسقايتها، أولاً تكون بالأذكار، لأن الذكر هو الحياة وفي الحديث "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت"[1] والأذكار على أنواع وكلها ماء الحياة لشجرة الإيمان فمن كان له حظ كبير من الذكر كان له حظ من الحياة ومن فاته حظ من الذكر فاته قدر كبير من الحياة. وكما أن للذكر أثره الكبير في حياة التوحيد فإن للعلم أثره الكبير في تعميقه وتغذيته، وكذلك نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها أثرها الكبير في تغذية التوحيد وتقويته، وكذلك الإنفاق، قال تعالى: {مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم} وعلى هذا فلا بد للمسلم أن يعرف ما يدخل في التوحيد وأن يعرف ما يقويه وأن يتحقق بذلك. وإذا عرفنا أن السمة الأولى للإسلام هي التوحيد وأنه بمقدار ما يكون التوحيد قوياً يكون نور المؤمن في الدنيا والبرزخ والآخرة قوياً. عرفنا أهمية هذا الموضوع. ولا شك أن هذا الموضوع واسع ولا يستوعبه حق الاستيعاب إلا من درس كثيراً من نصوص الكتاب والسنة.

أكثر الخلق لا ينكرون وجود الله عز وجل، لأن ذلك مغروس في فطرهم وهم يلجأون إليه عند الحاجة ولكن أهل الإسلام وحدهم هم الذين يعرفونه حق المعرفة فيعرفون صفاته وأسماءه، ويعرفون له حقوقه، وكلمة التوحيد هي الكلمة الجامعة لهذا كله. فاسم الجلالة "الله" علم على الذات المتّصفة بالعلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام والوحدانية بالذات والصفات والأفعال والغنية عما سواها والمفتقر إليها ماعداها والمتصفة بالقدم والبقاء وعدم المشابهة وهي مسماة بالأسماء الحسنى ولها المثل الأعلى وهي وحدها تستحق التأليه، ومن ثمّ فإن المسلم يقول "لا إله إلا الله" ومقتضى اتصاف الله بالألوهية أن يتصف بالربوبية والمالكية والحاكمية {قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس....}. {إن الحكم إلا لله}. {ألا له الخلق والأمر}. ومظهر حاكمية الله الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ومقام المكلف في هذا الوجود القيام لله بحقوق الألوهية والربوبية والمالكية والحاكمية وذلك يكون بالعبادة والعبودية، والعبادة والعبودية تقتضيان إيماناً برسول الله صلى الله عليه وسلم وتصديقاً بالوحي وتسليماً واستسلاماً. ومن حقوق التوحيد أن تستشعر أن كل شيء هو فعل الله وذلك مقتضى قول الله تعالى: {الله خالق كل شيء} فتستشعر بهذا في نفسك خارج نفسك وأن تستقبل كل شيء على أنه فعله ملاحظاً في ذلك التكليف. ومن حقوق التوحيد أن تستشعر أن الله يسمعك ويراك {إنني معكما أسمع وأرى}. {ألم تعلم بأن الله يرى}. ومن حقوق التوحيد التسليم لله في قضائه والتسليم لله في أحكامه. ومن حقوق التوحيد القيام بأنواع العبادة له والخضوع بكل أنواع العبودية له. ومن حقوق التوحيد ألا تُعطي ما هو خاص بالله لغير الله، وهذه قضية عظيمة يغفل عنها كثيرٌ من الخلق.

---

[1] أخرجه البخاري.

وثمرات التوحيد فعل الخير كله وترك الشر كله مع رؤية التقصير في فعل الخير من فعل الشر. وشعب الإيمان كلها وصفات أهل الإيمان كلها أثر من آثار التوحيد وترك الكفر وصفات أهله ومجانبة النفاق وأخلاقه وترك الفسوق كله أثر من آثار التوحيد. فإذا قلنا: إن التكليف يدخل فيه ما هو فريضة أو واجب أو سنة أو أدب أو مروءة أو أريحية أو ذوق ويدخل فيه ترك المكروه تنزيهاً أو تحريماً أو ما هو حرام فكل ذلك من ثمرات التوحيد. ولتتذكر أن من الوظائف ما هو فريضة عينية وكفائية وأن هناك فرائض باطنة وأن هناك فرائض وقت وفرائض وأن من المحرمات ما هو محرم قلبي كالحد والعجب والكبر. وإن تتبعاً شاملاً للكتاب والسنة هو الذي يعرفنا على ثمرات التوحيد.

***

إن الدعوة إلى الله مظهرها الأول هو التوحيد، ألا نري أن الدعوة إلى التوحيد هي السمة لدعوة الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}. وكثيرون من الدعاة يغفلون عن التركيز على هذه السمة العظمى لهذا الدين فيتحدثون عن غير هذا الأصل وهم يستطيعون الحديث عنه. وكثيرون من الدعاة يغفلون عن مغذيات التوحيد المتكاملة فلا يحسون ببركات التوحيد في قلوبهم وأنفسهم ولا يدخلون الطريق الذي ينمو به هذا التوحيد وقد لا يدُلُّون عليه وهذا من قصور الدعاة، ثم إن كثيراً من المسلمين أنفسهم خالط توحيدهم شيء من الخلل، فالتوكل فيه نقص، والإخلاص فيه نقص، وهذا كله يستدعي من الدعاة أن يركزوا على التوحيد وعلى ما يغذي التوحيد من ذكر ودراسة منهج ونصرة وإنفاق، فبعض الدعاة يفطنون إلى أهمية الذكر وينسون دراسة المنهج والنصرة والإنفاق، وبعضهم يفطن إلى دراسة المنهج وينسى الذكر والنصرة والإنفاق، وبعضهم يفطن إلى النصرة وينسى الذكر ودراسة المنهج والإنفاق، وبعضهم قد يفطن إلى شيء من الذكر وينسى الآخر، وبعضهم قد يفطن إلى شيء من دراسة المنهج وينسى غيره، وبعضهم قد ينسى بعض أنواع النصرة وهو يستطيعها، فالنصرة يدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير والنصيحة والتواصي بالحق والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ويدخل فيها الجهاد والتعليم والدعوة والتربية إلى غير ذلك من أنواع النصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه وشريعته.

***

الفصل الثاني - في الذكر

الصلاة ذكر قال تعالى: {وأقم الصلاة لذكري} بل هي أرقى أنواع الذكر لأنها ذكر يرافقه تذكر ضمن هيئة تمثل أعلى درجات الخضوع لله تعالى، فهي الركن الأصيل لكل أنواع الذكر في الإسلام. وإقامة المطلوبات، وترك المنهيات ذكر ضمني لله تعالى، ومحلها في دين الله تحددها درجة الطلب. والقرآن ذكر قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر}. والدعوات ذكر وزيادة، وهناك

أذكار المناسبات وهناك أذكار الصباح والمساء ودعواتهما، وهناك الأذكار المطلقة، وإقامة الذكر الذي هو حياة القلوب يدخل فيه ذلك كله. ومن هاهنا كان الكلام عن الذكر يدخل فيه كل ما يمكن أن يسمى غذاء العبودية، ولكن ذكرنا معه ثلاثة مغذيات أخرى لأهميتها. والذاكر على الحقيقة هو من أقام الصلاة فرائضها ونوافلها، وكان له حظه من أوراد الصلوات وتلاوة القرآن، وأذكار الصباح والمساء ودعواتهما، وكان له حظه من الأذكار المطلقة في كل وقت وحين، وأقام أوامر الله وترك نواهيه، فذلك هو الذاكر على الحقيقة. والتدرج للوصول إلى هذا المقام الأرقى سبيل هذا الدين، قال عليه الصلاة والسلام: "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق". أخرجه الإمام أحمد وهو حديث حسن. ومن هاهنا دأب أهل التربية أن يؤكدوا على إقامة الصلاة وعلى أوراد الصباح والمساء، وعلى إقامة الفرائض وترك المحرمات، وعلى الاعتياد على أذكار المناسبات، وعلى الاشتغال بالأذكار المطلقة، ليكون بعد ذلك انتقال من كمال إلى كمال في القلب والسلوك، ليكون الإنسان أكثر ذكراً وأكثر عبودية.

إن غذاء التوحيد وريّه هو ذكر الله عز وجل، انظر إلى الأذكار التي ندبنا إليها بشكل مطلق وانظر إلى آثارها في تعميق التوحيد، فكثرة تكرارنا لـ "لا إله إلا الله" تجديد للتوحيد وللإيمان في القلوب، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام "جددو إيمانكم" قيل وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: "أكثروا من قول لا إله إلا الله" وانظر إلى قولنا: سبحان الله فإنه تعريف على الله وتوحيد له، فسبحان الله تنزيه لله عما لا يليق بجلاله وعن أن يكون له شريك، وتنزيه له عن الظلم والهوى وغير ذلك من مظاهر النقص وفي ذلك كله غذاء للتوحيد وريا له، وانظر إلى قولنا: الحمد لله فهي اعتراف بأن الله وراء كل نعمة حسية ومعنوية وشرعية وشكر لله على هذه النعمة فهي غذاء للتوحيد وريّ له، وانظر إلى قولنا: الله أكبر فهي تعظيم لله أن يكون أعظم منه، في التشريع وفي غيره وذلك تخليص للقلب من أن يكون هناك أعظم من الله عنده فلا شخص ولا شعب ولا بشر ولا خلق أعظم في قلب المؤمن وذلك غذاءٌ للتوحيد وريّ له، وانظر إلى قولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله فلا حول عن معصية الله إلا بالله ولا قوة على طاعته إلا به، بل لا حول مطلقاً ولا قوة إلا بالله فذلك معرفة الله وتوحيد له فهي تغذية للتوحيد وريٌّ له. وانظر إلى قولنا: استغفر الله، فذلك يفيد أن الله قد كلفنا وأننا قصرنا ولذلك نطلب غفرانه فذلك تغذية للتوحيد وتعميق له، وانظر إلى قولنا: اللهم صلي على محمد وآله وسلم: فذلك اعتراف منا بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وعلى الناس واعتراف بأن ما أكرمنا الله به بواسطة رسوله أجل من أن يجازيه عليه إلا الله، فكل ذكر من هذه الأذكار المطلقة يغذي الإيمان ويسقي التوحيد ومن هاهنا فإننا نطالب أحبابنا بأن يقبلوا على ما ندبهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإكثار من ذكر الله تعالى بهذه الأذكار، وليبدأ المسلم والمسلمة بالإكثار من هذه الأذكار على أي شاكلة فسواء ذكر كلاً منها على انفراد أو ذكر بعضها مجتمعة وبعضها على انفراد أو جمعها كلها كأن يقول "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل أستغفر الله، اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وسلم" فإنه سيجد بركة ذلك، وقد جرت عادتنا أن نوصي أحبابنا بأن يبدءوا سيرهم من الغفلة بأن يذكروا الله بهذه الأذكار حوالي سبعة آلاف مرة فإنهم سيجدون بركة ذلك إن شاء الله ونوصيهم أن يكرروا ذلك مرات في حياتهم، فأن يلزم الإنسان نفسه بعدد معين من الأذكار فذلك لا حرج فيه على ألا يعتبره سنة وإنما هو تحديد مباح لمطلق مندوب إليه بقدر الطاقة، واجتهاد في تحقيق الإكثار من الذكر بما يترك أثره في القلب دلت عليه التجربة،

وانظر إلى الصلاة التي هي ذكر وزيادة فإنك تجدها تغذية للتوحيد ورياً له. سواء في ذلك أذكارها أو تلاوتها أو الأذكار المأثورة بعدها ومن ثم فإننا نوصي أحبابنا أن يلازموا صلاة الجماعة وأن يكثروا من النوافل فذلك هو أساس تغذية التوحيد وإروائه. وانظر إلى تلاوة القرآن فإنها ذكر وهي تعمق التوحيد وتغذية ألا ترى إلى قوله تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً} وإلى قوله تعالى: {والقرآن ذي الذكر} وإلى قوله تعالى: {هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب} ولذلك فإننا نوصي أحبابنا بتلاوة القرآن والإكثار من تلاوته وحفظه وأن يلزموا أنفسهم بجد أدنى من التلاوة يومياً لا يتركونه وإذا قصروا فيه قضوا ذلك.

والحقيقة أن كل عبادات الإسلام ذكر إن لم يكن بشكل مباشر، فبشكل غير مباشر وأن كل تكاليف الإسلام ذكر بشكل مباشر وغير مباشر وخاصة إذا رافق القيام بالتكليف نية وإخلاص، لذلك نوصي أحبابنا بأن تكون لهم نية صالحة في تحقيق الأمر أو ترك النهي بل نوصيهم أن تكون لهم نيات متعددة في العمل الواحد فذلك يغذي التوحيد ويسقيه.

أذكار الصباح والمساء وأذكار المناسبات:

كثرت النصوص التي تندب إلى أذكار الصباح أو أذكار المساء، أو أذكار الصباح والمساء وقد وردت نصوص تندب إلى الذكر بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر وبعد صلاة المغرب. فالنصوص في هذا كثيرة ولذلك فإن العلماء استحبوا أن يكون للإنسان ورد في الصباح وورد في المساء واستحبوا أن يكون ورد الصباح بعد صلاة الفجر لقوله عليه الصلاة والسلام: "من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجّة وعمرة تامة تامة تامة"[2]، واستحبوا أن يكون ورد المساء ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء لأن بعضهم فسر قوله تعالى: {إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً} بأن المراد بالناشئة ما بين صلاة المغرب والعشاء وكل ذكر يختاره الإنسان لورد الصباح أو المساء طيب والمأثور في ذلك أطيب، وقد جمع الأستاذ البنا بعض ما ورد في أذكار الصباح والمساء في وظيفته التي أمر بها إخوانه فهي خير ما يحافظ عليه المسلم في صباحه ومساءه وقد كان شيوخنا يأمروننا بأن يكون وردنا في الصباح وفي المساء: استغفار مئة مرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مئة مرة والتهليل مئة مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات. وكانوا يعتبرون أو ورد الصباح يساعد على قضاء النهار بالذكر وورد المساء يساعد على قضاء الليل بالذكر ومن فاته ورد الصباح قضاه بالليل ومن فاته ورد الليل قضاه بالنهار قال تعالى: {وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً} وإنما اختار بعض المشايخ الاستغفار والصلاة على النبي والتهليل كأساس في الذكر لأن الحاجة إليها كثيرة فالمؤمن لا يخلو من ذنب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى تأكيد والإيمان يحتاج إلى تجديد وتجديده بـ "لا إله إلا الله".

---

[2] أخرجه الترمذي، حديث صحيح.

ومع أوراد الصباح والمساء فهناك أذكار المناسبات والأذكار المتعلقة بحال أو وقت أو مناسبة وقد جمع النووي في كتابه الأذكار أهم ما ورد في ذلك ولفت الأستاذ البنا في رسالة المأثورات النظر إلى أهم أذكار المناسبات مما لا يستغني عنه المسلم أو المسلمة، فإذا ما أقام المسلم أذكار المناسبات وأقام الصلاة وكان له ورد في الصباح وفي المساء وكان له شغل بالأوراد المطلقة أو بواحد منها وكان له حظ في تلاوة القرآن حفظاً أو قراءة فإنه إن شاء الله على الطريق الأقوم والله تعالى قال: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} وقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} تأمل قوله تعالى: {وذكر الله كثيراً} لتعلم أن طريق الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذكر الكثير.

ذكر الله باسمه المفرد هو الغذاء المركز للقلب:

إن ذكر الله تعالى بأي صيغة هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى طمأنينة القلب قال تعالى: {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} فبدء الآية بـ {ألا} وتقدم الجار والمجرور على الفعل كل ذلك يفيد أنه لا طمأنينة قلب بالإيمان واليقين إلا بالذكر فإذا ما علمنا أن طمأنينة القلب هي الطريق لرضوان الله قال تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي} إذا ما علمنا أن طمأنينة القلب هي الطريق لرضوان الله وأنه لا طمأنينة إلا بذكر أدركنا محل الذكر وقيمته في دين الله تعالى وكل ذكر له آثاره في القلب، وتأثير الأذكار في القلب يختلف باختلاف نوع الذكر وإن كان كل الأذكار لها آثارها المباركة وأعظم الأذكار تأثيراً في القلب هو ذكر الاسم المفرد "الله" فلعظم تأثيره لا يأمر به بعض الشيوخ إلا في مرحلة متقدمة من الذكر ويشترطون أن يكون الذكر به بإشراف شيخ عارف بالله عارف بتأثيرات الأذكار على القلوب وإنما اعتمد الأشياخ هذا النوع من الذكر لكثرة الغفلة ولموت القلوب ولأنه ثبت من خلال التجربة أن هذا الذكر له تأثيره على القلب وعلى المعرفة الذوقية بالله أكثر من أي ذكر آخر، ونحن نرى أن الحجة قائمة على من عارض في جواز ذكر الله باسمه المفرد قال تعالى: {واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً} وقال تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}.

ومع أننا نرى إيجابيات ذكر الله باسمه المفرد إلا أننا لا نشترطه، فإذا ما اطمأن قلب الإنسان إلى ذكر مأثور وشعر بفائدة ذلك فليلازم ذلك الذكر على أنه من خلال التجربة تبين أنه ينوب مناب ذكر الاسم المفرد على الكمال والتمام إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك فإن بعض أشياخنا كانوا يعتبرون الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوب مناب المرشد الكامل ولذلك كانوا يوصون تلاميذتهم أن يكون لهم ورد يومياً بما لا يقل عن ألف مرة في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو بأقل صيغة كأن يقول الذاكر "اللهم صلي على محمد وآله وسلم".

تلقين الذكر وأخذ العهد

لقد أخذ الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن كله تلقيناً وكذلك السنة القولية ومنها الأذكار والدعوات، ولا زالت الأمة بفضل الله تأخذ كثيراً من النصوص والعلوم تلقيناً فسنة الذكر التلقيني متوارثة في الأمة بشكل "ما" ولذلك آثاره المباركة إلا أن مشايخ التربية استحبوا أن يلقن الذكر إنسان ذو قلب ذاكر يقظ ومن ههنا وجد تلقين الذكر في كثير من الدوائر. فالتلقين له آثاره وخصوصياته وقد دلت على أن ملقن الذكر كلما كان أقوى حالاً وصلاحاً واستقامة كان لتلقينه أثر أكبر في قلب الآخرين، وقد خص بعضهم الاستغفار والتهليل بالتلقين لحاجة كل إنسان إلى استغفار وتجديد إيمان وقد ورد في بعض النصوص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن الإمام علياً كلمة التوحيد. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ العهد على أصحابه إذا دخلوا في الإسلام ويأخذ العهد على بعضهم لبعض الأعمال ومن ههنا توارثت الأمة فكرة البيعة، ووجد نوعان من البيعة. بيعة لذوي السلطان على الطاعة وبيعة للشيوخ على التقوى، وقد خلط كثيرٌ من الناس ما بين البيعة التي تعطى لشيخ وبين البيعة التي تعطى لسطان ومن ههنا نرى أن يفرق بين بيعة السلطان وبيعة الشيوخ بأن تسمى بيعة الشيوخ عهداً وهذا العهد له حكم اليمين إن جرى بصيغة لها حكم اليمين وليس له حكم إن جرى بصيغة ليس لها حكم اليمين ومن ههنا قال الفقهاء: رجل أعطى العهد لشيخ ثم أعطاه لآخر أي العهدين يلزمه؟ قالوا: لا هذا ولا ذاك ولا أصل لذلك. وقد جرت العادة أن يطلب مريدو الله. العهد من شيخ فيعطيهم إياه ويلقنهم الشيخ الذكر فإذا ما تحركت همة المريد نحو طلب رضوان الله فذاك وإلا فتش عن شيخ آخر، وقد جرت عادة الشيوخ أن يقرأوا قوله تعالى {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم} ولأنه ليس لتلاوة هذه الآية أصل في السنة في موضوع البيعة ولأن تلاوتها في هذا المقام تثير اشتباهاً فإننا نرى أن تستبدل بآية تذكر بالعهد مع الله تعالى كقوله تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور}.

ونحن نرى أن أخذ العهد من الدعاة الكمّل فيه بركة للآخذ والمعطي، فهو بالنسبة للآخذ تجديد همة ورابطة روحية وخطوة نحو الالتزام وهو بالنسبة للمعطي تبعة عليه تجاه الآخرين تجعله يقوم بحقوقهم ويتعاهدهم بالخدمة والرعاية، والصيغة المثلى للعهد والتلقين أن يضع المعطي يده بيد الآخر إن كان رجلاً ويكتفي بالتلقين بالنسبة للمرأة فيقرأ الآية المشار إليها ثم يقول أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات ويكررها الآخر كل مرة وينبغي أن يكون المعطي على تمام المراقبة والخضوع والخشية والندم وأن يكون الآخذ على مثل ذلك ثم يقول المعطي "لا إله إلا الله" ثلاث مرات ويكررها الآخذ كل مرة فينبغي أن يستحضر المعطي في قلبه معنى "لا إله إلا الله" وكذلك الآخذ ثم يقول المعطي أوصيك بتقوى الله وملازمة الذكر ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وأن تداوم كل يوم على ورد هو أستغفر الله (مئة مرة)، واللهم صلي على سيدنا محمد وآله وسلم (مئة مرة)، وأن تقول لا إله إلا الله (مئة مرة)، وأن تقرأ سورة الإخلاص (ثلاث مرات) وأن تتلو شيئاً من القرآن ولو قلَّ كلَّ يوم وأن تخصص وقتاً للمطالعة في المنهاج المقرر والله يتولانا بحفظه. ويقول الآخذ قبلت وصيتك وسأعمل بها إن شاء الله تعالى. وهكذا يبدأ سير علمي وروحي إلى الله تعالى، ولكون السير العلمي مكملاً للسير الروحي في تغذية التوحيد فها نحن نعقد فصلاً لذلك تحت عنوان دراسة المنهج والتربية عليه.

***

الفصل الثالث - في دراسة المنهج

لم يزل علماء المسلمين يعتبرون العلوم الشرعية المباشرة تحيي موات القلوب، فهي ماء حياة للقلب، ولئن كانت العلوم الشرعية المباشرة هذا الدور، فكذلك العلوم التي تخدم العلوم الشرعية مباشرة إذا قصد بها وجه الله كعلم العربية مثلاً. وقد أخذ علماء المسلمين هذا المعنى من أن العلوم الشرعية تحيي موات القلب من نصوص كثيرة أبرزها قوله عليه الصلاة والسلام: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منه أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" متفق عليه. ومن ههنا اعتبرنا دراسة المنهج الذي نقصد به علوم الشريعة مباشرة وما يخدمها أغدية التوحيد الرئيسية. إن كثيرين من الناس انتسبوا إلى جماعات إسلامية فأخذوا بعض الأفكار العامة وشيئاً من العلم فأحدث هذا عندهم شعوراً بالاكتفاء والاستغناء. فهم بما حصلوه مكتفون وهم به مستغنون وهذا أفسد عليهم تطلعاتهم فالمسلم في الأصل طالب علم من المهد إلى اللحد وقد قال تعالى لرسوله: {وقل ربي زدني علماً}.

فالمسلم والمسلمة لا يَنِيَا عن طلب العلم ماداما حيين فالعلم والذكر هما زادا المسلم إلى الآخرة بحاجة إلى زاد يومي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً ومتعلماً" أخرجه ابن ماجه، حديث حسن، إلا أن المسلم تتعلق همته بالأهم ثم المهم. والدراسة المطلوبة لمرحلة الإرشاد الكامل الذي هو المنصب الذي يتطلع إليه كل مسلم هي التي تتضمن النقاط العشرة التالية بشرط أن يكون التأليف فيها مستوعباً وموثقاً وأن يكون المشرف على إعطائها مزكى وموثقاً، ثم بعد ذلك لا يهمّ أن تؤخذ كلها على مراحل أو توزع على مراحل أو يؤخذ بعضها ثم يؤخذ غيره فغيره حتى الاستكمال. والنقاط العشر هي:

1- القرآن وعلومه.
2- السنة وعلومها.
3- علوم اللغة العربية.
4- أصول الفقه.
5- العقائد.
6- الفقه.
7- الأخلاق والتربية والسلوك.

8- التاريخ الإسلامي.
9- الأصول الثلاثة.
10- فقه الدعوة.

فدراسة هذه القضايا العشر هي دراسة المنهج المطلوب ليكون الإنسان داعية كاملاً. لقد كتب الأستاذ البنا في سنة 1946م مقالاً تمنى فيه أن تغلق كل الأبواب أمام إخوانه إلا باب دراسة المنهج والتربية عليه وباب المشروعات المفيدة. ولكن ما هو هذا المنهج؟ إن هذه القضية تختلط بأذهان الدعاة فترى الكثيرين منهم يبحثون عن منهج. وبعضهم يفهم المنهج أنه خطة الحركة على مستوى قطر أو على مستوى العالم وبعضهم يفهم المنهج على أنه الجوانب التطبيعية لما نريده بعد قيام الدولة وبعضهم يفهم المنهج على أنه خطتنا للوصول إلى الدولة الإسلامية الرائدة، والذي أراه أن المنهج هو مجموع الدراسات العلمية والالتزامات العملية التي يحتاجها المسلم لترقيه العلمي والدعوي والقلبي والروحي، ملاحظاً في ذلك كل ما يفهمه الناس من كلمة المنهج. وما ذكرناه من النقاط العشر إذا أحسن استيعابه وإذا تخيّر المؤلفات فيه فإنه يمكن أن يضمن المنهج المطلوب دراسته، ومع أننا لا نشترط صيغة بعينها للدراسة فإننا نقترح الصيغة التالية على أنها صيغة مفضلة عندنا. يبدأ الدارس بدراسة الأصول الثلاثة. وجند الله ثقافة وأخلاقاً. وسلسلة كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. ويتقن تلاوة القرآن ويتعرف على أحكام التلاوة. ويقرأ كتاباً في السيرة وكتاب رياض الصالحين في السنة وكتاباً في الفقه ورسالة المأثورات. ثم بعد ذلك يدرس المواد المتبقية مادة مادة محاولاً استيعابها فيحاول بالنسبة للقرآن أن يدرس كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن وأن يدرس كتاباً مناسباً للعصر في التفسير ككتاب الأساس في التفسير ومهما حفظ من القرآن فحسنٌ ومهما تعرف على القراءات فحسنٌ، واتقانه لهذه الدراسات القرآنية يجعله مؤهلات لأن يكون ربانياً. قال تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}.

وبالنسبة للسنة يدرس كتاباً مناسباً في مصطلح الحديث وعلوم الحديث ويدرس كتاباً مستوعباً في السنة، ومن أجل ذلك جمعنا كتاب الأساس في السنة وفقهها ملاحظين فيه استيعاب السنة وتقديمها لما يناسب حاجات العصر. وبالنسبة لفقه الدعوة فهناك رسائل الأستاذ البنا ومذكراته وهناك سلسلة في البناء. وبالنسبة للتربية والتزكية والسلوك هناك كتاب تربيتنا الروحية. والمستخلص في تزكية الأنفس. ومذكرات في منازل الصديقين والربانيين. وبالنسبة لعلم أصول الفقه هناك كتاب جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما، وهناك كتاب الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص. وبالنسبة لعلوم اللغة العربية فليقرأ الإنسان ما تيسر من كتب النحو والصرف وعلوم البلاغة والخط والإملاء والعروض وفقه اللغة وكتب الأدب وليعتد مراجعة قواميس اللغة. وبالنسبة للعقائد لابد أن يقرأ المسلم كتاباً موثقاً في عقائد أهل السنة والجماعة. وكذلك بالنسبة للتاريخ. وباستيعاب المسلم ما مرَّ يكون قد درس المنهج متكاملاً ثم هو بعد ذلك يركز على ما شاء وينبغي مع المطالعة اليومية

أن يكون له حظه من الذكر اليومي وبذلك نرجو أن يوجد الولي المرشد أو الداعية الكامل أو العالم الكامل أو الوارث النبوي وتلك هي المقدمة الكبرى لاستقامة الحياة على مستوى الأفراد والأسر والشعوب أو الأمة.

***

الفصل الرابع - في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنه في سياق سورة الأنفال التي جاءت تفصيلاً لفريضة القتال جاء قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}. ولا شك أن كل طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فيها حياة. ولكن السياق يفيد أن الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الجهاد حياة ومن ههنا اعتبرنا أن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم غذاءً وماءً للقلب يساعدان على بقائه حياً، ويُبقيان المكلف قائماً بحقوق العبودية، وإنما جعلنا عنوان هذا النوع من الغذاء هو النصرة لتعم أنواع الجهاد من أمر بمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الخير، وعلم بالإسلام وتربية عليه، ودفاع عنه وقتال إذ اقتضى الأمر لذلك. إن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فريضة شرعية وهي إذا تحقق الإخلاص فيها غذاء للقلب المؤمن وتقوية له لأن المؤمن إذا ترك نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قسى قلبه بينما إذا نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة لدينه أو بتعليم القرآن والسنة أو بتعليم الثقافة الإسلامية أو بالأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر والدعوة إلى الخير أو بالجهاد والنصيحة أو بغير ذلك من وسائل النصرة زاد ذلك من إيمانه وكان دليلاً على قوة توحيده. فالنصرة مغذٍ للتوحيد ومقوٍ له وهي علامة على وجوده وكماله.

إن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مسلم قال تعالى: {إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلاً} فالتعزير هنا معناه التأييد والنصرة فالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته وتوقيره واجبات على كل مكلف. ومن شرائع الله الدائمة نصرة الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن مما يقسّي القلب أن لا يقوم الإنسان بنصرة رسل الله عليهم الصلاة والسلام لقد قال تعالى في سياق الكلام عن بني إسرائيل: {وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل. فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به}.

ومن ههنا كانت نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مسلم ومسلمة وهذه النصرة تظهر بأشكال شتى فقد تظهر بعمل ثقافي فكري تربوي وقد تظهر بعمل دعوي تذكيري أو تبليغي وقد تظهر بخدمة اجتماعية بنية إسلامية ومقاصد إسلامية وقد تظهر بحركة تطالب بتطبيق أحكام الإسلام وقد تظهر بجمعية أو جماعة أو عمل مشيخي فقهي أو صوفي... أو غير ذلك ومن تأمل واقع الأمة الإسلامية رأى مسارعة عند كثير من المسلمين نحو العمل على كل محور تظهر فيه النصرة ومن

ههنا نجد عملاً إسلامياً بسيطاً وعملاً إسلامياً مركباً. والعمل الإسلامي البسيط يظهر في صور شتى فهو يظهر بدعوة شيخ صوفي وبدعوة شيخ فقيه أو بدعوة داعية أو بدعوة إلى عمل إسلامي محدد كالأعمال الخيرية، وقد يظهر بصورة عمل مأذون به عرفاً أو بصورة عمل مسموح به قانوناً أو بصورة عمل منبثقة عن مؤسسات حكومية، والعمل الإسلامي المركب قد يظهر بشكل حزب سياسي محلي أو عالمي وقد يظهر بعمل جماعي محلي أو عالمي وكنموذج على العمل الإسلامي المركب دعوة حسن البنا الذي طرح أهدافاً كبيرة يقف في قمتها أستاذية الإسلام على العالم فاقتضت هذه الأهداف اجتهادات كثيرة متعددة على مستوى الأنظمة فاقتضى ذلك أنظمة محلية وعالمية ونظريات محلية واقتضى أنواعاً من الظهور والخفاء، ولو تأملت الساحة الإسلامية لوجدت من النادر أن يكون هناك شيء من أنواع النصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفطن له العاملون فتجد في القطر الواحد أنواعاً من العمل الإسلامي البسيط وأنواعاً من العمل الإسلامي المركب وأنواعاً من العمل الإسلامي الحكومي وأنواعاً من العمل الإسلامي الشعبي، غير أن الساحة الإسلامية لازالت بحاجة إلى معرفة موازين الكمال في الدعوة إلى الله وفي الداعية إلى الله ولا زالت بحاجة إلى تحديد الساحة التي ينبغي أن يعمل بها الداعية إلى الله محلياً وعالمياً وإلى الأسلوب الذي يعمل به الداعية الكامل إلى الله تعالى ملاحظاً الظروف التي تحيط به ومبدئياً فإننا نحدد الساحة التي يشتغل فيها الداعية الكامل بأنها.

1- العمل لإبقاء الموجود النافع واستمراريته.
2- المحافظة على المواقع المتقدمة للعمل الإسلامي وتطويرها.
3- إيجاد المؤسسات الضرورية التي يحتاجها العمل الإسلامي محلياً أو عالمياً.

وهذا يقتضي من خدام الدعوة إلى الله أن يفكروا على مستوى الأقطار وعلى مستوى العالم كله في هذه المعاني التي ذكرناها وتوزع الأدوار بما يغطي هذه الساحات كلها، ولابد مع توزع الأدوار أن ينطلق الدعاة على ضوء نظرية محددة في العمل السياسي والجهادي، إنه قد حدث انطباع أنه حيث وجدت الحركة الإسلامية المعاصرة فثم التمرد ثم الثورة ولقد لعب على هذا المعنى أعداء الإسلام فأدخلوه في رَوْع كثير الحكام من وساعد على ذلك عدم الوضوح عند دعاة الإسلام، نحن نرى أن أقطار العالم الإسلامي على أنواع فقطر ينبغي أن يكون عمل تركيزنا السياسي والجهادي لإقامة دولة الإسلام، وقطر ينبغي أن تكون حركتنا الدعوية مقتصرة على النصيحة السرية أو النصيحة الجهرية ضمن حدود عدم الصدام، وقطر يسمح لنا بالحركة السياسية في ظل القانون والدستور فهذا مما ينبغي المحافظة عليه، وعلى هذا فلا بد أن يكون توزع الأدوار مرتبطاً بنظرية الحركة السياسية أو العسكرية أو الدعوية فنحن فيما عدا أقطار الصراع وهي محدودة ينبغي أن يكون عملنا الدعوي في الإطار الذي لا نخرق فيه قانوناً أو في الإطار المسموح به قانوناً وإذا استطعنا أن نحصل رخصة قانونية فلا حرج علينا في ذلك وهذا لا يتناقض مع دعوتنا إلى حمل الإسلام كله، فالدعاة إلى الله شركاء فإذا كان دور بعضهم أن يجاهدوا سياسياً وعسكرياً في أقطارهم ودور الآخرين أن ينصروهم وأن يجاهدوا دعوياً في أقطارهم فحمل الإسلام كله قد حصل لأن المصلحة الإسلامية تقتضي أن لا تكون هناك مواقف موحدة في كل الأقطار على السواء، إنه فيما سوى أقطار الصراع ينبغي أن يحرص الدعاة

على أن لا يقفوا موقفاً مُداناً قانوناً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وأن يبذلوا جهداً للعمل عبر واجهات مسموح بها قانوناً ما أمكنهم ذلك.

وأن تكون مشاركتهم لإخوانهم خارج أقطارهم سرية لكنها سرية لو كشفت لا تجعل أصحابها مدانين أمام قانون بلدهم وذلك كأن تكون مشاركتهم مع دعاة الإسلام في العالم على أساس من التعاطف الأخوي أو على أساس عضوية شرف أو على أساس عضوية أخوية غير تنظيمية ونحن منذ الابتداء نقرر أن وحدة تنظيمية أو ارتباطاً تنظيمياً للأمة الإسلامية كلها لم يحدث بعد سقوط الدولة الأموية هذا مع وجود سلطان سياسي يتمثل بالخلافة العباسية ثم بالخلافة العثمانية فلابد أن نقلل من طموحنا بالافتراض أنه بالإمكان أن توجد وحدة تنظيمية بدون سلطة تنفيذية مركزية ومن ههنا فإن الشيء الذي يسع الأمة الإسلامية هو العلاقات الأخوية التي يمكن أن ترتقي في بعض أجزائها إلى علاقات تنظيمية وعلى هذا فإننا نرى أن تكون خطوتنا الأولى هي التركيز على الشخصية الإسلامية المؤهلة للإرشاد الكامل والدعوة الكاملة وأن يضم هؤلاء لاغيرهم صلة خاصة.

***

الفصل الخامس – في الإنفاق

إنا خصصنا الإنفاق بالذكر كغذاء للعبودية لقوله تعالى: {ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل} فالإنفاق غذاء وماء لأرض العبودية. ومن ههنا كان الإنفاق وترتيبه وتنظيمه غذاء لمقام العبودية لابد منه. والركن الركين في باب الإنفاق هو الزكاة، فأول ما ينبغي أن يفكر به مسلم هو أن يؤدي زكاة ماله وأن يعمل ليؤدي غيره زكوات أموالهم، فإذا ما رافق ذلك تنظيم لهذا الأمر بحيث يكون مردوده في خدمة الإسلام والمسلمين فذلك من المطلوبات الأولى لهذا العصر كما شرحنا ذلك في رسالة (فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً). وثاني ما يدخل في الإنفاق صدقة الفطر، ويدخل في الإنفاق كذلك ما تتطلبه بعض فروض الوقت كإطعام الجائع، وكسوة عريان، وإيواء من لا مأوى له، ويدخل في الإنفاق إطعام الطعام مطلقاً، وإكرام الضيف وإعطاء السائل. وهناك الأوقاف والصدقات والنفقات على النفس والأهل، وكل ذلك يدخل في باب الإنفاق المشروع. وأن يؤدي الإنسان ذلك كله فذلك الذي يُعطي الإنفاق حقه. تذكر العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل والذي عاقبهم على نقضه، وأن في هذا العهد أن يقرضوا الله قرضاً حسناً، لقد قال الله تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار}.

وتذكر أننا قد ندبنا إلى ما ندب إليه بنو إسرائيل، قال تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة}. إن ركن الإنفاق هو الزكاة، فهذه أول قضية يجب أن يلحظها المسلم وأن ينظمها، فهناك أموال تجب فيها الزكاة إذا حال الحول كالذهب والفضة وعروض التجارة، وهناك أموال تجب فيها الزكاة مباشرة كزكاة الزروع والثمار، ومن المعروف عند

الفقهاء أنه يصح للمسلم أن يقدم بزكاة ماله قبل حولان الحول بشرط النية، على هذا يصح للمسلم أن ينظم الإنفاق وأن ينوي كلما دفع شيئاً لمستحق زكاة الزكاة، وأن يسجل ذلك ليحاسب نفسه بالنهاية. ومن الصدقات الواجبة صدقة الفطر وإطعام جائع والنفقة الواجبة على العيال، كل ذلك ينبغي أن يقوم به المسلم وأن ينظمه، وهناك صدقات التطوع، ومما يزيد به أجر النفقات تنظيمها واختيار الحل الأنسب لها وتعاون الإنسان مع غيره على أبواب الخير ليزيده أجراً وفضلاً، والدال على الخير كفاعله، والخازن الأمين الذي يعطي ما أمر به أحد المتصدقين، ولذلك فتنظيم الصدقات والزكوات، وإنشاء المؤسسات الخيرية إذا كان بنية صالحة يعطي المسلم أجراً لتعاونه مع غيره على إقراض الله قرضاً حسناً.

الخاتمة

عن الحارث الأشعري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى، فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فإما أن تخبرهم، وإما أن أخبرهم، فقال: يا أخي لا تفعل فإني أخاف إن تسبقني بهن أن يخسف بي أو أعذب. قال: فجمع بني إسرائيل ببيت المقدس حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم، فقال: إن الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. أولهن أن لا تشركوا بالله شيئاً، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه داراً، فقال: اعمل وارفع إلي، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، فإن الله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً. وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم، وجعل يعطي القليل والكثير، حتى فدى نفسه. وآمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن، الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإيمان والإسلام من رأسه، إلا أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم، قيل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى. تداعوا بدعوى الله الذي سماكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله" أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن خزيمة بألفاظ متقاربة، وإسناده صحيح.

إن للمسلم حركتين: حركة نحو ذاته وحركة نحو غيره، وكلٌّ من الحركتين يخدم الأخرى، فالحركة نحو الذات بالصلاح والإصلاح تخدم الحركة نحو الغير صلاحاً وإصلاحاً، والحركة نحو الغير تنعكس على النفس صلاحاً وإصلاحاً، قال تعالى، {والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين} فلابد من حركةٍ نحو الذات ونحو الغير، قال تعالى: {ولا

تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون}. أما الحركة نحو الذات فتتمثل بتحقيق التوحيد وإقام الصلاة وبالصيام وبالذكر وبالعلم وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون له برنامجه اليومي والأسبوعي والشهري والسنوي، فينظم أوقاته بما يناسب مقيماً حق العلم وحق العبادة، وليكن له ساعة في يومه يخصصها للذكر والعلم ولتكن له خلواته التي يخصصها للعبادة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلو في غار حراء قبل النبوة وبعدها، وكان من سنته الاعتكاف السنوي، وكان أكثر اعتكافه في رمضان، وقد اعتكف في غير رمضان. وفي عصرنا حيث المادة والشهوة يتأكد الإكثار من الذكر اليومي والذكر الدوري. وأما الحركة نحو الغير فتتمثل بحركة المسلم نحو أهله، وحركته مع إخوانه، وحركته في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وملازمته لجماعة المسلمين وسمعه وطاعته لأولي الأمر من المسلمين. قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: "وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ". أخرجه مالك في الموطأ وهو صحيح. وقد قدمنا في هذه الخاتمة حديثاً يُذكّر بحركة المسلم نحو ذاته ونحو غيره. إن المسلم ينبغي أن يكون له برنامجه العبادي العلمي الدعوي الخيري اليومي، وينبغي أن تكون له دورات روحية سنوية، ومن عرف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة وعرف سنة الاعتكاف أدرك ما قلناه. إن هذا مقتضى القيام بالعبودية والشكر لله تعالى، وإذا ما عرفنا طبيعة المؤثرات التي تؤثر على الإنسان فتصرفه عن العبودية والشكر، أدركنا حكمة مشروعية هذه الأمور.

فغلبة الحس والمادة على الإنسان تجعله ينسى الغيب ورؤيته عالم الأسباب تنسيه الشكر لله تعالى، فإذا ما كان ذكر وعلم شرعي ودعوة وإنفاق بشكل يومي وبشكل دوري فيما شرع من العبادات فذلك يخرجه من النسيان وعن الصوارف وفي الحديث الشريف ما يشير إلى أهمية الصلاة في إزالة آثار الغفلة والصوارف، قال عليه الصلاة والسلام فيما روي عنه ابن مسعود رضي الله عنه: "تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا" قال المنذري رواه الطبراني في الصغير والأوسط واسناده حسن ورواه في الكبير موقوفاً عليه وهو أشبه ورواته محتج بهم في الصحيح. وفي الحديث الشريف التالي ما يشير إلى ضرورة الدورات الروحية في حياة المؤمن: "إن المؤمن لَيَخْلَق في جوف أحدكم كما يَخْلَق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم" أخرجه الطبراني والحاكم وهو صحيح. فإذا ما عرفنا أنه كلما كثر التلوث بالدنيا وشهواتها احتاج الإنسان إلى مزيد عناية بقلبه عرفنا ضرورة البرنامج اليومي المكثف وضرورة الدورة الروحية في حياتنا المعاصرة. فقد ذكر فقهاء الحنفية أنه يجب على الإنسان أن يهاجر من دار الكفر أو البغي أو البدعة إلى دار العدل والسنة. لكنه في عصرنا يصعب على الإنسان أن يهاجر إلى حيث يريد فأنظمة الجوازات والهجرة والإقامة والدخول والخروج تعقّد موضوع الهجرة. ومن ثمّ فعامة المسلمين يأخذون بقول الشافعية أنه حيثما أتيح للمسلم أن يقيم شعائر الإسلام فإنه يندب له أن يبقى حيث هو، فبوجوده يكون المكان الذي هو فيه دار إسلام، إلا أن الفقهاء أجمعوا على أنه حيثما كان المسلم يتعرض هو أو أهله أو ذريته لفتنة عن دينهم، فإن الهجرة واجبة، والفتنة كما نعلم الآن حاصلة في أغلب بقاع الأرض، فلم يعد أمام المسلم إلاّ أن يلتزم ببرنامج يومي مكثف، وبدورات روحية مكثفة وأن يلزم أهله وذريته

ببرنامج نظري وعملي ليحصّن نفسه وأهله من الفتنة. إن المسلم ينبغي أن يحصل نورين: نور القلب ونور العلم بالإسلام ليمضي إلى الله في دروب الحياة على بصيرة. قال تعالى: {نورٌ على نور} أي نور الفطرة مضافاً إليه نور الشريعة. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً}. فهذا نور القلب يفرق بين الحق والباطل. وقال تعالى: {قد جاءكم بصائر من ربكم} فالقرآن بصيرة، فإذا اجتمع للإنسان نور القلب ونور العلم بالقرآن كان على بصيرة في أمره كله ومن ثمّ فلابد من برنامج عبادي ينير القلب، ولابد من برنامج علمي ينير العقل، فذلك الذي يضع قدم الإنسان في مقام العبودية. إن طلاب العبودية على نوعين: طلاب الصلاح وطلاب الربانية والإصلاح، وكلّ من النوعين يطالب بالأغذية الأربعة للعبودية ولكن على تفاوت في الدرجة، فطلاب الصلاح يطالبون بمزيد من الذكر وحدٍ لابد منه من العلم، وحدٍ لابد منه من النصرة، وحدٍ لابد منه من الإنفاق، وطلاب الربانية والإصلاح يطالبون بحدٍ لابد منه من الذكر، ويطالبون بمزيد من العلم والنصرة، ويطالبون بالإنفاق وحض غيرهم عليه وتنظيم الإنفاق.

قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} وقال تعالى: {والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين}، وقال تعالى: {ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}. فالتمسيك بالكتاب وتعليم الكتاب والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحتاج إلى مزيد من العلم، وإلى مزيد من النصرة، وإلى مزيد من الإنفاق وإلى تنظيم الإنفاق. فالرعاية المالية جزء من التربية النبوية. والداعية المرشد يهمه أن يجعل الإنسان في دائرة الصلاح ومن وجد عنده همةً حاول معه النهوض إلى رتبة الربانية والإصلاح، وقد جرت عادتنا مع إخواننا أن نؤكد عليهم على الاجتماع الأسبوعي، وإن أمكن فعلى الاجتماع اليومي وأن يكون له محافظة على الصلوات وعلى تلاوة القرآن وحفظه، وعلى ملازمة أوراد الصباح والمساء، وأن يداوموا على أذكار المناسبات والأحوال، ونعتمد في هذا كأساس رسالة المأثورات للأستاذ البنا رحمه الله ونحاول أن يدرسوا في اجتماعاتهم برنامجاً مرحلياً يتقنون فيه رسالة في أحكام التجويد، ويتقنون تلاوة القرآن ويحفظون شيئاً منه، ونركز على الأربعين النووية، وعلى قراءة مختصر في علم مصطلح الحديث، وعلى فقه العبادات على مذهب من المذاهب، وعلى دراسة كتاب مختصر في عقائد أهل السنة والجماعة، وعلى دراسة كتاب المستخلص في تزكية الأنفس، وعلى دراسة النحو الواضح للمرحلتين الإبتدائية والثانوية، أو ما يعادلها، وعلى إتقان الخط والإملاء والترقيم، وعلى دراسة بعض كتب فقه الدعوة، جند الله ثقافة وأخلاقاً، من أجل خطوة إلى الأمام، التعرف على احتياجات العصر من خلال سلسلة رسائل: كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر. فمن أتقن هذه المعاني أعطيناه إجازتين:

إجازة في: أحكام التلاوة وإقراء القرآن، وإجازة المرحلة الأولى: في العلوم الشرعية. وطلبناه أن يستمر في حضور جلسة أسبوعية تقوم على قراءة في التفسير وقراءة كتاب في السنة النبوية ككتاب (رياض الصالحين). ويحقق من خلال اجتماعه بإخوانه ما تقتضيه لوازم العبودية. أما من كان عنده انبعاث همة نحو مقام الإرشاد والإصلاح والربانية، فإننا نطالبه بجدٍ أدنى من الأوراد يومياً، وندخله في دورات روحية، تقوم على أن يذكر في كل دورة الأذكار المطلقة الثمانية آلافاً من المرات، ويمكن

أن نضيف إلى ذلك في بعض الدورات شيئاً من الأذكار الأخرى. وأما بالنسبة للدارسة، فإنا نطالبه أولاً: بقراءة الأصول الثلاثة، وقراءة الأساس في التفسير، وقراءة الأساس في السنة وفقهها، وقراءة كتاب موسع في عقائد أهل السنة، وكتاب شامل في فقه مذهب، وكتاب قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص وهو في الأصول، ونطالب بقراءة كتبنا الثلاثة: في التربية والتزكية والسلوك وهي: تربيتنا الروحية، والمستخلص في تزكية الأنفس، مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، ونطالبه بقراءات في علوم اللغة العربية كلها، وبقراءات في التاريخ الإسلامي، ونطالبه بقراءات في فقه الدعوة وخاصة سلسلتنا في البناء.

فإذا فعل ذلك كله أعطيناه (إجازة تخصص الدعاة) وطالبناه في أن يعمل على نشر الثقافة الإسلامية والتربية عليها، وأن يعطي كلاً من الناس ما يناسبه من العلم والذكر مراعياً حال الأطفال والنساء والأميين دافعاً نحو مقام الصلاح ثم مقام الإصلاح، منظماً الدعوة والرعاية الاجتماعية. إن عصرنا ليس كبقية العصور، قد غلبت فيه المادية والشهوة، فهو يحتاج إلى غذاء روحي كبير وإلى غذاءٍ علمي كثير، وإلى أناس قادرين على العطاء العلمي والروحي. وهذا الذي جعلنا نعكف على كتابة ما كتبناه، وجعلناه كله تحت عنوان رئيسي هو: دراسات منهجية هادفة لأننا تلمسنا أن نضع أيدينا على المنهج الذي يحتاجه الدعاة في عصرنا. وقد رغب لنا بعض الأخوة أن نوزع دراسات المنهج على مراحل ففعلنا ذلك، وجعلنا دراسة المنهج على أربعة مراحل، خصصنا لكل مرحلة علومها وكتبها بحيث يتكامل ما أخذه، ويتخرج الطالب الرباني في المرحلة الأخيرة برتبة الأستاذ المرشد، وهذه نماذج على الإجازات الخمس التي نعطيها لطالب الربانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله"

علم اتباع ذكر

اجتماع ربانية انتساب

إجازة المرحلة الأولى في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي:

1- أحكام التجويد ومفردات القرآن وأتقن التلاوة.
2- السيرة النبوية (نور اليقين).
3- مصطلح الحديث (كتاب مختصر) والأربعين النووية.
4- عقائد أهل السنة والجماعة "كتاب مختصر".

5- أحكام العبادات في الفقه "كتاب مختصر".
6- كتاب "المستخلص في تزكية الأنفس".
7- في فقه الدعوة (جند الله ثقافة وأخلاقاً – جولات في الفقهين، الكبير والأكبر من أجل خطوة إلى الأمام – رسالة التعرف).
8- في اللغة العربية "النحو الواضح" للمرحلة الابتدائية والخط والإملاء والترقيم، فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الأولى في السير نحو الربانية.

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم
"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله"

علم اتباع ذكر
اجتماع ربانية انتساب

إجازة المرحلة الثانية في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي:

1- في القرآن والتفسير: تفسير سورة البقرة وحفظها.
2- في السنة: رياض الصالحين وحفظ أحاديث منتقاة من بعض أبوابه.
3- في الفقه: تتمة دراسة كتاب فقه مذهبي.
4- في التربية والتزكية والسلوك: تربيتنا الروحية.
5- في فقه الدعوة: رسائل كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر، فصول في الإمرة والأمير.
6- في اللغة العربية: قطر الندى والنحو الواضح للمرحلة الثانوية والبلاغة الواضحة. وكتاب في العروض والقافية.

7- في الفكر الإسلامي: الأصول الثلاثة.

فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الثانية في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب: نقيب مشرف.

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله"

علم اتباع ذكر

اجتماع ربانية انتساب

إجازة المرحلة الثالثة في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي:

1- في القرآن والتفسير: من سورة آل عمران إلى نهاية براءة.
2- في السنة: الأساس في السنة: قسما السيرة والعقائد أو ما يعادل ذلك.
3- في أصول الفقه والمنطق: الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم أو ما يعادل ذلك.
4- في التربية والتزكية والسلوك: مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.
5- في فقه الدعوة: دروس في العمل الإسلامي، المدخل إلى دعوة حسن البنا، في آفاق التعاليم.
6- في التاريخ: كتاب التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر أو ما يعادل ذلك.
7- في الفكر الإسلامي: مطالعات لكتّاب معاصرين.
8- في اللغة العربية: تدريب على القراءة الصحيحة والكتابة والتدريس والمحاضرة والخطابة وقراءات في كتب الأدب.

فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الثالثة في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب: مرشد.

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله"

علم اتباع ذكر

اجتماع ربانية انتساب

إجازة المرحلة الرابعة في العلوم الشرعية

بعد أن أتم السيد دراسة البرنامج التالي:

1- في القرآن والتفسير: الأساس في التفسير أو ما يعادله.
2- في السنة: الأساس في السنة وفقهها أو ما يعادلها ورياض الصالحين ودراسة مصطلح الحديث.
3- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.
4- عقائد أهل السنة والجماعة.
5- كتاب في الفقه.
6- كتاب في أصول الفقه.
7- سلسلة التربية والتزكية والسلوك.
8- سلسلة دراسات منهجية هادفة في فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامي.
9- في الفكر الإسلامي والحديث: الأصول الثلاثة ومطالعات حرة.
10- علوم اللغة العربية.

وبعدما التزم بالأوراد اليومية والدورات الروحية المخصصة فإن المشرفين عليه والأساتذة الذين امتحنوه يعطونه إجازة التخرج في المرحلة الرابعة في السير نحو الربانية ويمنحونه لقب: أستاذ مرشد.

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله"

علم اتباع ذكر

اجتماع ربانية انتساب

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" البخاري

قال تعالى: {ورتل القرآن ترتيلاً} ولقد استقرأ علماء المسلمين طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الترتيل والتلقين فاستخرجوا أحكام التجويد وحرصوا على تلقنه وتلقينه وأعطوا الإجازات في ذلك ولما كان السيد قد قرأ رسالة في أحكام التجويد وختم القرآن على يد المشرفين عليه وأتقن التلاوة وأحكامها فإن المشرفين عليه واللجنة الفاحصة قد قررت إعطاء هذه الإجازة في تعليم أحكام التجويد وإقراء القرآن وتلقينه على رواية حفص بالشرط المعتبر عند علماء القراءات والأثر سائلين المولى الكريم أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

اللجنة الفاحصة المشرفون الموجه العام

إن المواد العشر التي أدخلناه في إجازات طلاب الربانية، ونوع الكتب التي أدخلناها، وإصدارنا الإجازات باسم طلاب الربانية كانت له أسبابه وظروفه وكانت لنا أوضاعنا التي تسمح بذلك، ولكن الواقع أنه لا يوجد بعض الكتب في بعض الأقطار، وقد لا تسمح بعض الأقطار ببعض الكتب، وقد تكون بعض الدراسات ضرورية في مكان دون مكان. وقد تغني الدراسات في أوضاع عادية عن دراسات أخرى، فهناك مثلاً من يرى أن تدريساً صحيحاً للكتاب والسنة يغني عن دراسة العقائد، وهناك حالات يدخل الداعية فيها في دائرة الحرج إذا درس بعض الكتب أو بعض الدراسات. والداعية الكامل يوصل إلى الكمال من حيث بدأ، وإذا ما أردنا تجديداً شاملاً في الأمة الإسلامية، فإن هذا التجديد يتم إذا وجدت مدرسة في كل مسجد، وأصبح لهذه المدرسة مدرسوها ومناهجها والمنتسبون إليها وإجازاتها. تصور الآن مسجداً يشرف عليه مرشد كامل، وهذا المرشد قام بنفسه أو بالتعاون مع غيره بفتح درس يومي قبيل العشاء، وخصص يوماً في الأسبوع للتفسير، ويوماً للسنة، ويوماً للفقه، ويوماً للأخلاق، ويوماً للسيرة والتاريخ الإسلامي، ويوماً للغة العربية، واختار الكتاب المناسب في كل علم من هذه العلوم لزمانه ومكانه وبيئته، وخصص وقتاً لختم القرآن وحفظه وأحكام تلاوته، ووجّه المنتسبين للحلقات نحو الدعوة والخدمة الاجتماعية، والمشروعات المفيدة وأجرى امتحانات دورية في المواد التي يعطيها، وأعطى بذلك إجازات، ثم تصور أن كل مسجد من مساجد المسلمين قامت به مدرسة وصار يعرف أن فلاناً من الناس تخرج من جامع كذا وأخذ إجازة كذا ولوحظ في الإجازات المطلوبات العينية ثم الكمالات الإسلامية. تصور أن هذا حدث في كل مسجد، فهل يبقى تخلف عند المسلم؟

لا شك أن هذا حلم ولكن مالا يُدرك كله لا يُترك جله فليبدأ كلٌّ منا بمسجده، وسيأتي يوم بإذن الله يعم فيه هذا الخير كل المساجد، ولنبعد حلقات المساجد عن أي شيء يؤثر على وجودها أو استمرارها، ولتتمحض للعلم وليراع القائمون عليها التلاؤم مع الحد الذي يسمح به وضع البلد الذي هم فيه، وإذا ما أمكن أن تصدق وزارات الأوقاف إجازات المساجد فلهذا قيمته الكبرى ونكون بذلك قد عوضنا كل إنسانٍ عن دراسة جامعية شرعية، وهذا سيرتقي بالأمة الإسلامية مدنية وثقافة والتزاماً بما يقربها إلى الله. إن أقرب طريق للارتقاء بالأمة الإسلامية هو أن تتعاون المؤسسات التعليمية والمساجد والبيوت بما يكمل كل منها عمل الآخر بشكل هادف ومنظم ومكافئ للعصر.

{والحمد لله رب العالمين}

1987/04/09م

10/ شعبان/ 1407هـ